تفتيت المقاومة!

15-11-2004

ومثل هذا الأمر يواجه بإشاعة حالة من الوعي داخل المجتمع العراقي الصامد والمقاوم، والمجاهدة لمنع تفتيت المقاومة وتحريف مسارها وإشغالها بمعارك خارج حدود الصراع، للوصول إلى حالة من الاتزان الفكري والعلمي والسياسي في أوساط القوى المؤثرة والفاعلة في المجتمع العراقي، وتعميق الحوار ومد جسور التعاون وتعزيز أطر ومؤسسات التشاور والتعاون، وكشف الحقائق التي تخفى على الرأي العالم المحلي والخارجي خاصة فيما تعلق بأشكال التورط الخارجي والداخلي الاستخباري في إثارة الفتنة الطائفية.

بقلم خالد حسن

في ظل احتدام المعارك في الفلوجة والمواجهات المفتوحة في كل من الموصل وبغداد وغيرها من المدن العراقية، يبرز التخوف من بلوغ ما يسمى بـ"التوتر الطائفي" مستوى الاحتكاك والاحتراب، خاصة بعد أن تأكد أن شريعة واسعة من الحرس الوطني العراقي الذي يقاتل إلى جانب الاحتلال الأمريكي، من الشيعة الموالية للسيستاني والأكراد التابعين لميليشيات "البشمركة".وما يبعث على القلق والتوجس إلى جانب تورط جماعات من الشيعة والأكراد في العدوان على الفلوجة من خلال الحرس الوطني العراقي، جملة حقائق -قد تحرض على الانجرار لمخطط الاحتراب الداخلي وهو ما تسعى إليه مخابر التحليل ودوائر الرصد المتربصة بالعراق، وتهيئ الأجواء لمثل هذا الاحتمال "الأسوأ" لحاضر العراق ومستقبله- نذكر منها:- اعتماد أحد المراجع الهامة والأكثر نفوذا وتأثيرا في الأوساط الشعبية الشيعية في العراق للفكر الطائفي، ممثلا في آية الله علي السيستاني، وتبنيه لسياسة انحيازية لا تراعي مصلحة العراق ككل، وإنما كل الذي يهمه هو انتزاع الشيعة لحصة الأسد في حكم العراق، ويهيمن على خطابها وأدائها السياسي النزعة المذهبية الضيقة، ولعل موقفه ليس فقط السلبي وإنما المتخاذل، حتى لا نقول المتواطئ، من العدوان على الفلوجة سواء الحالي أو السابق، ما أثار احتقان الأوساط العلمية السنية ناهيك عن الأوساط الشعبية، واستغراب كثير من المراقبين لهذه الطائفية المقيتة.- نزوع بعض المجموعات المسلحة السنية، خاصة جماعة التوحيد والجهاد بزعامة الزرقاوي، نحو التحريض ضد الشيعة وتحديدا الموالين أو المتعاونين مع الولايات المتحدة، ومع غلو هذا التوجه وإثارته أحيانا للمعارك الوهمية أو نقل الصراع خارج بيئته وأهدافه المشروعة، إلا أنه يبقى: أولا، نشازا ضمن الحالة العلمية —هيئة العلماء- والجهادية —أغلب جماعات المقاومة- والسياسية — الأحزاب والجمعيات الأهلية- السنية، التي ترفض التورط في أي شكل من أشكال الاحتراب الداخلي، وتملك من الوعي والنضج وأدوات الفهم ما يعصم من طغيان هذا "التوجه الشاذ" داخل كيان المقاومة العراقية، ثانيا: إلى الآن، لم يثبت بالدليل القاطع أي تورط صريح وجلي لمجموعة الزرقاوي في أي عملية أو هجوم ضد هدف شائعي انطلاقا من نزعة طائفية. كما أنه لا مجال للمقارنة، بين تبني أهم وأبرز مرجعية علمية لهذا التفكير الطائفي الانحيازي الإقصائي، عبر أشكال مختلفة من صمت وخذلان وتواطؤ، وبين ما نسب إلى أحد مجموعات المقاومة من بيانات أو ما ألصق بها من عمليات لم تثبت بعد بالدليل القاطع تحمل بعدا طائفيا، بل وأكثر من ذلك، فإن المرجعية العلمية السنية، ممثلة في هيئة العلماء، جمعت من القرائن والحقائق الموثقة التي تثبت تورط بعض مجموعات الشيعة في إيذاء والتعرض للسنة خاصة في المناطق الممتدة من بغداد إلى البصرة، ومع ذلك أخفتها ولم تكشف عنها درءا لأي فتنة أو إثارة لقضايا يشتم منها "النزعة الطائفية".وليس معنى هذا أن الذي يغلب على العلاقة بين السنة والشيعة في العراق هو طابع التوتر والتشاحن، فهناك علاقات إستراتيجية بين هيئة علماء السنة وبين بعض مجموعات الشيعة ومنها تيار الخالصي وأحمد النجفي والصدر، تتجاوز بعض الخلافات السياسية الظرفية.- احتمال ضلوع بعض الجهات الاستخبارية الداخلية والأجنبية على وجه الخصوص، وهذا من خلال عدد من القرائن والشواهد، وتورطها في بعض العمليات والهجمات التي يراد منها إثارة الفتنة المذهبية والتحريض الطائفي. وهذا المعطى يصعب السيطرة عليه أو التحكم فيه أو حتى تطويقه ومحاصرته، خاصة وأنه يرتبط بمخططات تندرج ضمن الإستراتيجية الشاملة والمفتوحة لـ"تطهير" العراق من حركة المقاومة وتشويهها وإرغام الشعب على الدخول في العباءة الأمريكية أفواجا، ومثل هذا الأمر يواجه بإشاعة حالة من الوعي داخل المجتمع العراقي الصامد والمقاوم، والمجاهدة للوصول إلى حالة من الاتزان الفكري والعلمي والسياسي في أوساط القوى المؤثرة والفاعلة في المجتمع العراقي، وتعميق الحوار ومد جسور التعاون وتعزيز أطر ومؤسسات التشاور والتعاون، وكشف الحقائق التي تخفى على الرأي العالم المحلي والخارجي خاصة فيما تعلق بأشكال التورط الخارجي والداخلي الاستخباري في إثارة الفتنة الطائفية.